

المديح النبوي في العصر العثماني - دراسة تحليلية

دكتور رياض أحمد

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

الكلية الحكومية، بهدرواه، جامو وكشمير

ملخص

المديح النبوي لون من ألوان الشعر الديني الذي يتعلق بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، عرف منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، نظمته شعراء الصحابة رض وشعراء العصور الآتية، وأصبح فنا متكاملًا في العصور اللاحقة خاصة في العصر المملوكي والعثماني ويعدّ العصر العثماني عصر ازدهار المدائح النبوية، وكان هذا العصر مملوءاً بالاضطرابات الكثيرة التي مرّ بها المسلمون المحن والشدة، كان أعداء الإسلام يهاجمون رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم برسائل منكرة، وكان الصليبيون ينقصون في الإسلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذي دعا الشعراء والأدباء إلى الدفاع عنه. فكان من الطبيعي أن يزدهر فن المديح النبوي في هذا العصر ازدهاراً واضحاً للردّ على أعداء الدين من جهة، ومن جهة أخرى لرفع سيرته العطرة، وأسوته النيرة، ونشر رسالته العذبة، وقلّمًا نجد شاعراً إلا ولج في هذا الباب. ومن أشهر شعراء هذا العصر محمد بن سعيد البوصيري، وجمال الدين الصرصري، وعبد الرحيم البرعي، وابن جابر الأندلسي، وابن نباتة المصري، وشهاب الدين محمود الحلبي، وابن حجر العسقلاني، وغلام علي آزاد البلكرامي وغيرهم الذين نظموا قصائد كثيرة في المديح النبوي لا تعد ولا تحصى.

الكلمات الدلالية: المدح، المديح النبوي، العصر العثماني، القصائد، الشعراء.

تعريف المديح النبوي:

المديح النبوي هو الشعر الذي يتعلق بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيان صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته والإشادة بغزواته وصفاته. وتعرف المدائح النبوية كما يقول زكي مبارك بأنها: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص".

والمديح النبوي هو أصدق صور المدح في الأدب العربي وأخلصه في المشاعر لأن الشاعر يعبر عن حب صادق ومشاعر روحية فياضة إبتغاء مرضاة الله، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم لا طمعا في عطاء ولا رغبة في مكافأة. يستوحى المديح النبوي مادته الأصلية من القرآن الكريم أولا والسنة النبوية ثانيا. وهناك مصادر ثانوية للمدائح النبوية وهي كتب السيرة تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتب التفسير التي بينت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بيناً واضحاً كاملاً.

لقد عرف المديح النبوي منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونظمه الشعراء من الصحابة رض وشعراء العصور اللاحقة، لكنه لم يصبح ظاهرة متفردة إلا بعد مدة طويلة من الزمن ولم يستقر ويتكامل إلا في العصر العثماني ويعد هذا العصر عصر ازدهار المديح النبوي، ولقد شاع المديح النبوي فيه شيوعاً لم يسبق له نظير، واستوى على سوقه، وبدأ

¹ - المدائح النبوية في الأدب العربي، تأليف: زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الأولى ١٩٣٥، ص: ١٧.

² - الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ص/٣٢ . بتصرف.

الشعراء يقرضون الأشعار فيه، وتذاكره الناس على اختلاف مشاربهم وتباين ثقافتهم، ورددوه وحفظوه.^٢

شهد العصر العثماني اضطرابات كثيرة وفوضى عظيمة بحيث غشيت البلاد العربية ظلمات الجهل فأقفرت من العلم وذوت الآداب لسياسة الدولة العثمانية؛ ونشبت الحروب الصليبية حتى أوسعت البلاد العربية كلها شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً، وانتهكت الحرمات فيها باسم الدين، وكان الصليبيون يهاجمون رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم برسائل منكرة وينقصون من الإسلام ومن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مما دعا الشعراء إلى الدفاع عن دينهم وعن صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم، وكان من الطبيعي أن يزدهر المديح النبوي رداً على أعداء الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى لرفع سيرته العطرة النيرة وجهاده ونشر رسالته يتخذ منه الآخرون عن حى الإسلام القدوة الحسنة دالماً فهم الحماسة لدق أعناق الصليبيين وسحقهم سحقاً ذريعاً، وكاد لا يخلو ديوان شاعر عربي حينئذ من مدحة أو مدائح نبوية، يقول الدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي مصوراً للمديح النبوي لهذا العصر: "ولقد شاعت المدائح النبوية في هذا العصر شيوعاً لم يسبق له مثيل، واقفن الشعراء في تلك المدائح النبوية وإن كان قد اهتموا بزخرف اللفظ والجري وراء المحسنات حتى سميت أكثر مدائحهم بالبديعيات لاشتمالها على أسماء البديع المختلفة.

فكان الشعراء لما حرموا عطايا الملوك والأمراء على مدائحهم وغلب على الناس الالتجاء إلى الدين لفساد الدنيا وشاع التصوف سواء أكان منه صحيحاً أو زائفاً كثر اتجاه الشعراء إلى المدائح النبوية، وكان كل شاعر يتفوق في الشعر يرى واجبا عليه أن يقول في هذا الباب:"

وأشهر شعراء المديح النبوي لهذا العصر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، ولد في سنة ٦٠٨ هـ في بوصير، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٨ هـ:

بدأ قرض الشعر في صغره ومال إلى المدائح النبوية واهتم بها اهتماماً بالغاً يقول الدكتور شوقي ضيف: "بل اتجه إلى المديح النبوي، وبلغ فيه ذروة لم يبلغها أحد قبله ولا في زمنه"^٣، وصارت شاعريته بمدائحه النبوية البليغة مضرب المثل في الفصاحة، ومن العجب العجيب أن شعره في أغلبه لا يمتاز بجودة ولا ببلاغة ولا بروعة ولكن مدائحه النبوية وحدها هي التي فاقت ونالت من البيان والبلاغة أعلى النصيب، واستحوذت على قصب السبق في كل رهان.^٤

وقد اشتهر البوصيري في باب المدائح النبوية بقصائده الجذابة خاصة بقصيدته الميمية الشهيرة "البردة" أو "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" التي سارت على ألسنة الناس والتي بلغت شهرتها المشرقين والمغربين، وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة هي من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوية، وقد انتشرت هذه القصيدة انتشاراً واسعاً في البلاد العربية والإسلامية. يقول الدكتور زكي مبارك: "البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبواباً من السيرة النبوية، وعن البردة تلقوا بأبلغ درس في كرم الشمائل والخصائل. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على إنشادها وحفظها من وسائل التقرب

^٢ - المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي: د/ محمود سالم محمد: ص/١٣.

^٤ تاريخ الأدب العربي: محمد سعيد وأحمد حسن، ص/٥٨.

^٥ - العامل الديني في الشعر المصري الحديث: ص/٥٦-٥٧.

^٦ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات: لشوقي ضيف، ص/٣٦١-٣٦٥.

المصدر السابق: ص/٣٦٣^٧

^٨ الأدب في التراث الصوفي: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ص/٢٥٥.

إلى الله والرسول".^٩ ويعبر الدكتور إبراهيم عوضين عنها: "وكان أشهر مدائحه النبوية قصيدته الميمية المعروفة بـ"البردة" وترجع شهرتها إلى طولها، وما تضمنته من معان وأفكار قدم فيها صورة مقربة للمصطفى صلى الله عليه وسلم": "تتألف البردة من مئة وسبعة وستين بيتاً، موزعة على عشرة فصول يبدأ بقطعة غزلية يمهد بها لإعلان حبه الصادق الذي لا يجد فيه ما يلام عليه، فهو يحب إنساناً يعتز بحبه إياه، يقول في مطلعها:

أأمن تذكر جيران بنى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم^١
يبدأها بمقدمة غزلية تقليدية، وأن هذه المقدمة الغزلية إنما هي تعبير رمزي عن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم وشوقه لزيارته. ثم يتحدث عن كمال شمائله وعن فضائله على كل من الكونين والثقيلين والعرب والعجم منها قوله:

محمد سيد الكونين والثقيلين والفريقين من عرب ومن عجم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم^٢
وقصيدته الهمزية الشهيرة التي تبلغ أربعمئة وخمسة وخمسين بيتاً وهي إحدى أشهر قصائد المديح النبوي عند المسلمين، تتميز ببلاغتها وقوة نظمها، وشموليتها بحيث تتناول الكثير من موضوعات السيرة النبوية وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم بأبلغ بيان وأروع بلاغة. بالإضافة إلى ما فيها من ذكر للصحابة وأمّهات المؤمنين، ودعاء وتوسل. وفي مطلعها يقول البوصيري:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
أنت مصباح كل فضل فما تصددر إلا عن ضوئك الأضواء
ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء^٣
ومن قصائد البوصيري "أم القرى في مدح رسول الله صلوات الله عليه" تبلغ ستاً وثلاثين وستمئة بيتاً في وزن "بانة سعاد" تبلغ ستاً ومئتين بيتاً ومطلعها:

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول^٤
الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري (٥٨٨هـ-٦٥٦هـ) صاحب المدائح النبوية يقول عنه ابن شاعر الكنتي: "إنه صاحب المدائح النبوية السائرة في الأفق، لا أعلم شاعراً أكثر من مدائح النبي صلى الله عليه وسلم أشعر منه، وشعره طبقة عالية"^٥؛ له قصائد كلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأبيات التالية يمدح النبي صلى الله عليه ويذكر أوصافه وشمائله في أسلوب ممتع جذاب، يقول فيها:

^٩ - المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك ص ٢١٥.

^١ محمد صلى الله عليه وسلم بين البوصيري وشعرنا المعاصرين: للدكتور إبراهيم عوضين، ص/١١.

^٢ - ديوان البوصيري: ص/١٣٥

نفس المصدر: ص/١٣٧

^٣ - ديوان البوصيري: ص/١٠٧

- نفس المصدر: ص ١٢٣.

فوات الوفيات؛ تحقيق إحسان عباس، ج/٤، ص/٢٩٨.

إليك رسول الله أهدي مدائحي فتكسب من رباك نشرا مؤرجا
وتلبسها أوصافك الزهر حله ال بهاء وروضا من حلاك مدبجا
وكنت نبيا قبل آدم مرتجى لتفتح بابا للهداية مرتجا^١

وقد رأيناه في البيت الأخير يشير إلى الحديث النبوي "كنت نبيا وأدم بين الماء والطين"^٢ وله قصيدة أخرى ميمية يمدح فيها النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ويتحدث عن خصائله وأوصافه العالية بأنه السراج المنير والأمين المتوكل وهو البشير النذير وهو الهادي إلى الدين القيم وهو الشفيع يرجى شفاعته يوم القيامة وفيها يقول:

محمد أحمد المختار من مضر أزكى القبائل في الأنساب والشيم
هو البشير النذير المصطفى العلم الهادي إلى دين حق واضح اللقم
وهو الشفيع الذي تنجى شفاعته عصاة أمته من جاحم ضرم^٣

ومن شعراء هذا العصر الشيخ عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني المتوفى سنة ٨٠٣ هـ قال عنه خير الدين الزركلي: "شاعر متصوف، من سكاّن "النيابتين" في اليمن، له ديوان شعر مطبوع، أكثره في المدائح النبوية"^٤ ومن قصيدته الغراء في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

ومدح محمد غرضي وغيري إذا غنى حكي الرشأ الأغنا
إمام المرسلين ومنتقاهم وأكثر غيئهم طلاً ومزنا
وكل الأنبياء بدور هدى وأنت الشمس أشرقهم وأسنى
وهم شخص الكمال وأنت روح وهم يسرى يديه وأنت يمنى
عليك صلاة ربك ما تناغت حمام الأيك أو غصن تشنى^٥

وفي هذه الأبيات المذكورة يقول الشاعر بأن مدح الرسول هو غايته وغرضه ثم يمدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بأنه إمام المرسلين وهو الذي انتقاه الله من بينهم وهو خير الناس وأطيبهم، وهو الذي بشر به المسيح عليه السلام، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم شمس والأنبياء كلهم بدور، وينتهي بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

ومن شعراء الأندلس أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي (٦٩٨ هـ - ٧٨٠ هـ) برع في نظم المديح النبوي وتفنن في ذلك، فله ديوان كامل خصصه للمديح النبوي وهو "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين" أو "الغين في مدح سيد الكونين" تحدث الشاعر عن مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

بمدح رسول الله أهناً وأبهج وأوقن أن الضيق عتي يفرج
به أرتجي دار النعيم وآتقي لهيب جحيم حره يتوهج
وكيف تمسّ النار جسسي وحبّه بلحي وعظمي والمفاصل يمزج^٦

المدائح النبوية: لمحمود على مكي، ص/١٠٤. ^١

^٢ صحيح البخاري: كتاب الأدب، ص/١١٩. وصحيح مسلم: فضائل الصحابة، ص/٢٨.

المجموعة النبهانية في المدائح النبوية: ليوشف بن إسماعيل النبهاني، ج/٤، ص/٣٩. ^٣

الأعلام: ج/٣، ص/٣٤٣. ^٤

^٥ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية: ج/٤، ص/١٦٦-١٧١

^٦ ابن جابر الأندلسي، نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،

ط١، ٢٠٠٥م ص/٧.

حيث يعتبر الشاعر أنه بمدح رسول الله قد تبتعد عنه النار وتستحي من أن تمس جسمه الذي تطهر بمدح رسول الله، وهذا اعتقاد منه بشفاعة رسول الله وإيمان بما جاء على لسان النبي أن المرء يحشر مع من أحب، وفيه ارتباط وثقة بفائدة مدح الرسول الكريم. يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله النيرة، ويصور لنا شدة الشوق لرؤية النبي صلى الله عليه ولم يكتف بذلك بل يصور لنا شوق المسلمين المتعطشين للقاء الحبيب المصطفى الذين خسروا ممتلكاتهم وأتعبوا أنفسهم وشدوا الرحال عازمين على زيارته صلى الله عليه وسلم، يقول فيها:

لله قوم دموع العين قد سكبوا شوقا إليه وجادوا بالذي كسبوا
نفوسهم أتعبوا حتى إذا وصلوا أراهم وصله أضعاف ما تعبوا^٢

وقد عارض كثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين بردة البوصيري، ومن أهم هؤلاء الشعراء ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية، التي استعمل فيها المحسنات البديعية بكثرة، وهي بمثابة معارضة شعرية سماها "الحلة السيرة في مدح خير الورى" ومطلعها:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم وانثر له المدح وانثر أطيب الكلم^٣

ومن الشعراء الذين طرقتهم غرض المديح النبوي في هذا العصر جمال الدين محمد بن محمد ابن نباتة المصري (٦٨٦هـ-٧٦٨هـ) كان عالما صوفيا أديبا من رجال القرن الثامن من الهجري، له خمسة قصائد في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم. وله قصيدة "لامية" يعارض فيها قصيدة "بانة سعاد" لكعب بن زهير، وأخرى "همزية" وقد استهل قصيدته هذه بالنسيب وسار على نهج القدماء، ثم يتوجه إلى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة طويلة عدد أبياتها خمسة وخمسون، يتحدث الشاعر فيها عن أشواقه وحنينه للرسول صلى الله عليه وسلم، ويتحدث عن صفاته ومعجزاته المادية والمعنوية حتى يصف صفاته الحسية والمعنوية بقوله:

وأن محمدا لحبيب إنس وجن هم لنعليه فداء
نبي تجمل الأنبياء عنه جمال الشمس يجلوها الضحاء
وأين الشمس منه سنا ولولا سناه ما ألم بها بهاء
عليك من المليك بكل وقت صلاة في الجنان لها أداء^٤

يتحدث الشاعر عن جمال النبي صلى الله عليه وسلم وأن جماله مثل جمال الشمس يضيئ لمن حوله ويظهر الضحى، ويكشف عن الظلام. ويقول أبت الشمس منه ومن ضوته، ولولا ضوته لما كان لها بهاء وضوء. وشبه الشاعر صفرة البدر في المساء بالخشوع للنبي صلى الله عليه وسلم، وغياب الشمس واختفاءها حياء من جماله وإشراقه.

ومن شعراء هذا العصر شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي كان شاعرا كبيرا وعالما يشار إليه بالبنان ولد بدمشق سنة ٦٤٤هـ وتوفي في سنة ٧٢٥هـ. وقد ترك لنا ذخيرة عظيمة من الشعر ومن أجمل ديوانه الموسوم ب"أهني المنائح في أسنى المدائح" وقد اتسعت فيه تجربة الشاعر الدينية حيث جمع قصائد عذبة في مناجاة الله تعالى، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف الكعبة المشرفة، والتشوق للمدينة المنورة. وقد غلبت في ديوانه قصائد المديح النبوي، ومنها بائيته، وقد ذكر فيها عدداً من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي ذكرتها كتب السيرة النبوية، ومنها يقول:

^٢ المصدر نفسه: ص/٨٤.

^٣ الأدب في التراث الصوفي: ص/٢٤٤.

^٤ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية: ج/٣، ص/٩٤-٩٥.

محمد سيد السادات أكرم من علت بملته فوق الورى الرتب
محمد المصطفى الهادي الذي شهد ببعثته أنبياء الله والكتب
وانشق إيوان كسرى يوم مولده من فوقه وخبا من ناره اللهب^{٢٥}

ولعلنا لاحظنا قدرة الشاعر على التصوير الرائع مثل تصوير الغمامة التي كانت تظلل الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيمة العالقة في الجو بلا عمد ولا طنب، ومن عادة الشاعر أن يختم مدائحه بالصلاة والسلام على الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وهي عادة جميلة رسخها الشعراء حتى عصرنا هذا. ونختار من إحدى مدائحه الرائعة هذا الختام البديع:

فعليه السلام ما افتر ثغر النور في الروض من بكاء الغوادي
أو سرى نحو أرض مكة سارٍ أو تغنى بذكر طيبة حادي^{٢٦}

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون ولد في تونس سنة ٧٣٣هـ وتوفي في مصر سنة ٨٠٨هـ علمنا عن دراسة "نفع الطيب" أن قلبه مملوء بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، واطلعنا على قصائده الغراء، نموذج من مديحه النبوي قوله:

يا سيد الرسل الكرام ضراعة تقضى منى نفسي وتذهب حولي
عاقبت ذنوبي عن جنابك والمنى فيها تعللى بكل كذوب

شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، نظم في أغراض شعرية متنوعة إلا أن المديح النبوي كان من أهم موضوعاته جودة وكماً، وهو أحد أبرز الشعراء لهذا العصر بسط القول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في نبوياته مقلداً ومكرراً لكثير من المضامين والمعاني، فتحدث عن مولده وبعثته ومعجزاته وصفاته وأخلاقه وغزواته ومكانته عند الله وأفضليته على باقي الرسل، كما أنه قد خصّ صحابته والتابعين بمديحه، لعلّ السبب الذي دفعه إلى نظم الشعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو تعمقه في علوم القرآن وعلوم الحديث، وهذا الأمر زاده قريبا من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فعرف قدره ومنزلته ودوره في نشر دعوته ورسالته، ولهذا أراد أن يخصه بمديح يجسّد من خلاله حبا له مبينا منزلته وأخلاقه وصفاته في قصائد شعرية يقرأها الناس.^{٢٨}

يتحدث ابن حجر العسقلاني في قصيدة عن حادثة الإسراء والمعراج حيث نراه يكرر معاني الإعجاز في هذه الحادثة وما رافقها من أحداث، وما خصّ به النبي صلى الله عليه وسلم عن باقي الأنبياء والرسل، وبخاصة في الأماكن التي رقي إليها في معراجه والتي لم يصلها أحد غيره، يتجلى هذا في قوله، يقول:

أسرى بجسمك للسماء فبشرت أملاكها وحبتك بالترحيب
فعلوت ثم دنوت ثم بلغت ما لا ينبغي لسواك من تقرب^{٢٩}

ويستغل ابن حجر كلامه عن حادثة الإسراء لينفذ من خلالها إلى الحديث عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل والمنزلة الراقية التي وصل إليها إجلالا لقدره، فهو مقبول الشفاعة للعصاة يوم القيامة، وأحيمهم إلى الله عز وجل، يقول:

^{٢٥} - أهني المنائح في أسنى المدائح للقااضي شهاب الدين محمود الحلبي، طبع بمطبعة جريدة الشورى بمصر، ص/١١١.

^{٢٦} - المصدر السابق ص/ ٧٦.

^{٢٧} المدائح النبوية في الهند: ص/١٠٣-١٠٤ ^٢

^{٢٨} - مقالة "نبويات ابن حجر العسقلاني بين التقليد والتجديد" نشرت في مجلة جامعة الشارقة، المجلد ١٦، العدد ٢، ديسمبر ٢٠١٩م، ص/٨-٩.

^{٢٩} - ديوان ابن حجر العسقلاني، جمعه وصححه السيد أبو الفضل، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٦٢م ص/٢٠.

وهو الشفيح في العصاة إذا طهى عرق وألجم في الورود و ريدا
 ذلك المقام به يخص محمداً والرسل فيه يحصرون شهوداً^٣
 ويسط ابن حجر القول بوصف النبي عليه السلام، فيتغنى بشجاعته في غزواته ضد المشركين، كما يتحدث عن
 فتح مكة وعن غزوات بدر وخيبر وحنين وغيرها من الغزوات التي ارتفعت فيها رؤية الإسلام وانحطت رؤية الكفر.
 ومن شعراء هذا العصر عبد الغني النابلسي الدمشقي شاعر وعالم بالدين والأدب ورحالة. ولد ونشأ في دمشق وتوفي
 فيها. قضى سبع سنوات من عمره في دراسة كتابات "التجارب الروحية" لفُقهاء الصوفية وله قصائد عديدة في المديح النبوي.
 نختار بعض الأبيات من قصيدته المدحية النبوية وفيها يقول:

محمد خير كل العالمين لقد سمحت على الخلق في أفضاله سحب
 وقدر في ليلة المعراج في درج نحو العلا حيث عنه زالت الحجب
 وأنت باب العطايا والجود يا أملى بك الإله على طول المدى يهباً^٤
 ومن أهم مادحي الرسول لهذا العصر شيخ الإسلام قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي
 المتوفى ١١٢٦هـ صاحب التصانيف النادرة، كان من رواد الأدب العربي في الهند، وله يد طولى في قرص الشعر والقصائد، وله
 قصائد عديدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأشهر قصائده "أطيب النغم في مدح سيّد العرب والعجم" هذه
 قصيدة بائئة شهيرة تبلغ مئة وثمانين بيتاً، وقد شرح الشاعر نفسه هذه القصيدة في كتاب صغير يعرف بنفس العنوان.
 يبدأ الشاعر هذه القصيدة بذكر ما يعاني منه من المصائب التي تزعجه وتشغله عن كل راحة، فإنه قد ضاقت صدره
 من الأزمات والمصائب التي تحيط به من جميع الجوانب، فيبحث عن ناصر يلجأ إليه في حل هذه الأزمات، فلا يجد أمامه إلا
 النبي صلى الله عليه وسلم يمدحه مدحا خالصا ويتحدث عن شرف نسبه وخصائصه العظيمة، ثم ينتقل إلى بيان المعجزات
 التي سادت في القرن السادس الميلادي قبل بعثة الرسول الأكرم، ويبين كيف منّ الله على المجتمع الإنساني ببعث حبيبه
 صلى الله عليه وسلم، ثم يتحدث عن أصحابه وأهل بيته. وفي الأبيات التالية يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويتحدث فيها
 عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته، ومعجزاته، وشمائله، بقوله:

فلست أرى إلا الحبيب محمدا رسول إله الخلق جم المناقب
 بشارة عيسى والذي عنه عبروا لشدة بأس بالضحوك المحارب
 جزى الله أصحاب النبي محمد جميعا كما كانوا له خير صاحب
 وآل رسول الله لا زال أمرهم قويفا على إرغام ألف النواصب^٥
 السيد غلام علي آزاد البلكرامي ولد سنة ١١١٦هـ وتوفي ١٢٠٠هـ، وله مساهمة قيمة في باب المدائح النبوية ولذلك لقب
 بـ"حسان الهند" وألّه عشرة دواوين بدأ كل ديوان من الدواوين العشرة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جمعها وجعلها
 على حدة سماها "أرج الصبا في مدح المصطفى" نذكر بعض الأبيات من مدائحه النبوية من قصيدته "السبع السيارة" إذ
 يقول:

^٣ - المصدر نفسه، ص/١٣.

^٤ عربي مين نعتية كلام: ص/٢٤١-٢٤٢.

^٥ نعتية شاعري كا ارتقاء: محمد إسماعيل آزاد فتحفوري، ص/٢١٣.

^٦ - عربي مين نعتية كلام: ص/٢٤٢-٢٤٦.

مظهر البركات: لغلام علي آزاد البلكرامي، مقدمة الكتاب (بط) صححه الدكتور محمد فضل الدين .^٦

زاد الإله منا بقيق الغرقد
 قلبي حمام بالمدينة، طائر
 أسنى رسول الله مرتبة الهدى
 يا رب: أهد له سلاما ناظرا
 حصياته يلمعن في الفرقد
 لكن جسسي موثق في مصيد
 راقت جلالته مقام السؤدد
 ما نضر الأمطار نبت الأنجد^{٣٥}

وهناك شعراء كثيرون بارزون من أمثال صفى الدين الحلي المتوفى ٧٨٠هـ وعز الدين الموصلبي المتوفى ٧٨٩هـ وابن حجة الحموي المتوفى ٨٣٧هـ والإمام السيوطي المتوفى ٩١١هـ وابن معنوق المتوفى ٧٠٧هـ وعائشة الباعونية المتوفى ٩١٢هـ والشيخ عبد الله الشبراوي المصري المتوفى ١١٧٢هـ وغيرهم الذين ساهموا في تطوير المدائح النبوية في العصر المذكور أعلاه. قدمنا في الأوراق المذكورة بعض شعراء المدائح النبوية ونماذجهم في العصر العثماني، وهذا الاستعراض الوجيز للمدائح النبوية لذلك العصر، فوصلنا إلى هذه الحقيقة الكبرى أن المديح النبوي ازدهر في هذا العصر وأن معظم الشعراء لهذا العصر قرضوا قصائد أو أبياتا في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم لتأدية ضريبة الحب والفداء ولإبانة الحب الكامن في قلوبهم. وهؤلاء الشعراء ومساهماتهم في المدائح النبوية التي قدمناها ليست إلا غيضاً من فيض وقطرة من بحر بالنسبة إلى الشعراء وقصائدهم التي يزخر بها الأدب العربي.

المصادر والمراجع:

- ١- المدائح النبوية في الأدب العربي، تأليف: زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، صيدا، بيروت، ١٩٣٥م.
- ٢- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: علي علي صبح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٣- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي: الدكتور محمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
- ٤- العامل الديني في الشعر المصري الحديث: سعد الدين محمد الجزاوي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، مصر.
- ٥- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات: شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
- ٦- الأدب في التراث الصوفي: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار غريب للطباعة، ١٢ شارع نوبار، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٧- فصول في الشعر ونقده: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
- ٨- محمد صلى الله عليه وسلم بين البوصيري وشعرائنا المعاصرين: الدكتور إبراهيم عوضين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٩- الموازنة بين الشعراء: د/ زكي مبارك، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
- ١٠- ديوان البوصيري للإمام البوصيري، من موقع <http://www.4shared.com> تاريخ التحميل: ١٢-٠٩-٢٠١١م.
- ١١- فوات الوفيات: ابن شاکر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ١٢- المدائح النبوية: الدكتور محمود على مكي، الطبعة الأولى، طبع في دار بار للطباعة، روض الفرج، شبرا، القاهرة، ١٩٩١م.
- ١٣- المجموعة النهائية في المدائح النبوية: يوسف بن إسماعيل النهاني، أربعة أجزاء، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
- ١٤- الإعلام: خير الدين الزركلي، الجزء الثالث، الطبعة السابعة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
- ١٥- نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين: لابن جابر الأندلسي، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ١٦- شهاب الدين محمود الحلبي: أهني المنايح في أسنى المدائح، طبع بمطبعة جريدة الشورى بمصر.
- ١٧- ديوان ابن حجر العسقلاني، جمعه وصححه السيد أبو الفضل، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٦٢م.
- ١٨- عربي مين نعتيه كلام: للدكتور عبد الله عباس الندوي، مكتبة إسلام، كوئن رود، لكناؤ، الهند.

- ١٩ - نعتيه شاعري كا ارتقاء: محمد إسماعيل آزاد فتحفوري، فائن آفست وركس، آله آباد. الهند. ١٩٨٨ م.
- ٢٠ - مظهر البركات: غلام علي آزاد البلكرامي، عني بتصحيحه الدكتور محمد فضل الدين، الطبعة الأولى، المكتبة العزيزية، روب لال بازار، حيدرآباد. الهند. ٢٠٠١ م.